إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي

الباب الأول

مفهوم الشتات اليهودي في المنظور الاصطلاحي المسيحاني والصهيوني

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

المنظور الاصطلاحي والتاريخي لمفهوم الشتات اليهودي

أولاً: المنظور اللغوي الاصطلاحي

تمثل أسطورة الاختيار، الواردة فى التوراة، للشعب اليهودى، ركيزة أساسية فى تحديد مسلك اليهود وحركتهم وانتشارهم بين الشعوب الأخرى فى شتى أنحاء العالم، حيث يعنى الاختيار القداسة، والقداسة تعنى الخصوصية. هكذا أصبحت هذه الأسطورة، (الاختيار الإلهى) ذات تأثير فعال فى تشكيل طبيعة وشخصية اليهودى، وحركته بين الآخرين، قديماً وحديثاً.

ولأن فلسطين مزروعة فى كل من الوعى والتراث الدينيين اليهوديين، باعتبارها، المكان التنفيذى لهذا الاختيار (حسب رواية التوراة)، فقد استغلت الصهيونية هذا الاتجاه ليكون الأساس فى أيديولوجيتها فى جلب اليهود من شتاتهم إلى فلسطين. ومن هنا، فقد حرصت الصهيونية على أن يكون لدى اليهودى فى شتاته إحساس دائم بالنفي، وبالتالي الرغبة القوية فى العودة لما يسمى «أرض الميعاد»، وإنهاء حالة « المنفى». ومن هنا أصبح تداول مصطلح « المنفى» ومرادفاته، مثل: «السبى »، و «الشتات»، و«الدياسبورا» ملازماً لنقيضه وهو «العودة»، وهى الهدف الرئيسى للصهيونية.

وبناء على ما سبق، أصبح اليهود فى شتاتهم نموذجاً منبوذاً ومكروهاً بين شعوب العالم، ومن ثم ضرورة التخلص منهم، ووجد الغرب مفهوم الاختيار وأرض الميعاد وسيلة ناجحة لتنفيذ ذلك. ويمكن القول بأن نموذج الشعب العضوى المنبوذ هو الحلقة التى تربط بين العداء لليهودية والصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة. وتنطلق صهيونية اليهود من فكرة أن « الفولك» أو « الشعب العضوى اليهودى» لا مكان له حقاً

فى العالم الغربى، (وهذه هى نفسها دعوى أعداء اليهود)، ولكن يمكن الاستفادة منه كأداة يمكن توظيفها لصالح الغرب فى مشروعاته المختلفة التى أصبح من أهمها، مع مرور الوقت، المشروع الاستيطانى فى فلسطين»[١].

«وتشكل عقيدة «المنفى» و«العودة»، إحدى النقاط المحورية فى الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهى ترتبط، مثل كل العقائد الدينية اليهودية، بعقائد أخرى، مثل عقيدة « الماشيح» و«الشعب المختار» . وحسب هذه العقيدة فإن إله اليهود، حكم على شعبه المختار بالنفى والتشتت فى بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود فى تحديده. وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيح المخلِّص. وكالمعتاد، أحاط بهذه العقيدة هالة من القداسة والخصوصية، فنجد أن الشعور بالنفى ليس نتيجة حتمية للنفى ذاته، وإنما هو إحساس مقصور على اليهود حينما يبتعدون عن « أرض الميعاد»، وذلك بسبب ارتباطهم الحلولى أو العضوى بها. أى أنهم يجعلون المنفى سمة أساسية وخاصية مقصورة على ما يسمى « التاريخ اليهودى»، ويصبح الإحساس بالغربة أمراً ينفرد به اليهود وحدهم»[٢].

وتؤكد الأدبيات اليهودية على العودة لأرض الميعاد (فلسطين)، وتستند فى ذلك لما ورد فى التوراة حول أسباب النفى من هذه الأرض « فسبى الشعب من أرضه (فلسطين) حسب ما يفهم من التوراة وأسفار الأنبياء هو عقاب واقع بسبب أخطاء الشعب وذنوبه (بسبب أخطائنا سبينا من أرضنا)» [٣].

وتؤكد هذه الأدبيات أيضاً على أن النفى الذى وقع على اليهود هو من « مكان المولد» لأرض غريبة، قد وقع قسراً، حيث إن الإنسان أو الشعب مجبر على هذا النفى، وبشكل عام، فالمطرودون والمنفيون على مدى «تاريخ شعب إسرائيل» يمثلون حالة من قطع شعب إسرائيل من مسقط رأسه وتشتته بين الأغراب، ومنها نزوح يعقوب وأبنائه لمصر، وسبى الأسباط العشرة، وسبى بابل ليهودا وبنيامين فى عهد الملك صدقياهو،

(١)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، جـ٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٩٢.

(٢)المرجع السابق، ص٩٥.

(٣)תלמי. אפריסר מנחם: לקסיקון ציוני , מהדורת מעריב, תל- אביב, 1977, עמ/78.

والسبي الأحمر (سبى روما) الذى وقع بعد خراب الهيكل الثانى، وفشل ثورة بركوخبا[١] .

« والمنفى أو الشتات وفق المفهوم اليهودى، والذى يسمى بالعبرية (גלות) هو كل مكان يعيش فيه اليهود كأقلية، وكل مكان لا يتمتعون فيه بالاستقلالية من الناحية السياسية أو الاجتماعية، وكل مكان يكونون فيه مرتبطين بكرم الأغلبية غير اليهودية، وخاضعين للضغوط اليومية لثقافتها وطابع حياتها. ومعنى هذا أن المقصود بالمنفى » هو «المنفى القهرى» خاصة خارج فلسطين، أى أن المنفى هو سمة مقصورة على التاريخ اليهودى وإحساس مقصور على اليهود حيثما يبتعدون عن (أرض فلسطين)» [٢] .

« وعلى الرغم من أن هناك شعوباً أخرى مرت بتجربة الشتات، وبخاصة شعوب أوروبا، فهناك من أخرجوا من مواطن إقامتهم، واقتلعوا ليقيموا بصفة دائمة فى أوطان أخرى مثل: الإيطاليين، والأسبانيين، والبرتغاليين، والايرلنديين، والأرمينيين، وأبناء البلاد الاسكندنافية، ولبنانيين ونصارى من سوريا، شكلوا فى العصر الحديث مجموعات كبيرة وراء البحر وحذا حذوهم، أيضاً، صينيون ويابانيون فى شتى أنحاء آسيا وقارة أمريكا، فمنهم من ذاب واندمج فى الشعوب، ومنهم من ساهم فى إنشاء دولة جديدة. وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الخصوصية فى شتات اليهود هى عدم فقدانهم الشعور بالانتماء لمصدرهم على مدى التاريخ»[٣] .

وتكمن الخصوصية الحقيقية فى شتات اليهود فى السعى الدؤوب لتثبيت فلسطين فى ذاكرة كل يهودى، استناداً لما أوردته التوراة قديماً، وإلى ما ارتكزت عليه الصهيونية حديثاً، على الرغم من أن معطيات التاريخ الحقيقية تؤكد أن فلسطين كانت دائماً مفتوحة أمامهم، لكنهم لم يتوجهوا إليها، « فعشية خراب الهيكل الثانى كان حوالى نصف الشعب اليهودى مشتت خارج فلسطين. لقد ترك اليهود فلسطين طواعية وتشتتوا فى بلدان مختلفة، ونحن نجد شواهد على وجود طوائف يهودية فى شمال أوروبا، وفى

(١) שם עמ' 78.

(٢) الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية فى إسرائيل. عالم المعرفة، العدد ٢٢٤، الكويت، ١٩٩٧، ص٩٧.

(٣) ציר, יעקוב: דיוקנה של התפוצות, בית הוצאת כתר, ירושלים, 1975, עמ' 3.

روسيا، وعلى حدود ليبيا، وفى بابل، وحتى الإسكندرية، وروما، وآسيا الصغرى، لقد ذهب اليهود برغبتهم الحرة، واستقروا في أماكن بعيدة، ولم يكن هذا (لا سمح الله) لأنه لم يكن فى فلسطين أماكن كافية لهم، وأن الحقيقة القاطعة هى أن فلسطين كانت مليئة بالأجانب الذين يقيمون فيها، ويحتلون مساحات كبيرة منها، لأن اليهود لا يقيمون فيها»[1].

وقبل ظهور الصهيونية على مسرح الأحداث كان اليهود يعيشون مشتتين فى أرجاء العالم، دون أن يشعروا أنهم يرتكبون إثماً دينياً، بما فى ذلك حاخاماتهم ورجال الدين، ولم يكن أحداً من هؤلاء يفكر فى فلسطين أو يتذكرها إلا من خلال بعض الصلوات التى كانت تؤدى فى المناسبات الدينية، بالرغم من أن فلسطين كانت دائماً مفتوحة أمامهم، ولم يكن أحداُ يمنعهم من دخولها أو الإقامة فيها.

وفى فترة التنوير كان هناك إجماع يهودى عام فى غرب أوروبا، على اعتبار أن الشتات هو ظاهرة ملازمة للتاريخ اليهودى، وأنهم سعوا للاندماج القائم على طمس الفوارق بينهم وبين أبناء الأوطان التى يعيشون فى وسطها، كما محيت النصوص كافة التى تتحدث عن حلم العودة إلى فلسطين، والحنين إلى صهيون ـ من الصلوات تأكيداً لهذا التوجه. أضف لهذا شيوع الزواج المختلط والاندماج مع غير اليهود فى أوطان الشتات، وما نتج عنه من سلالة لا تنتمى إلى اليهودية وشريعتها، وهو ما خلق الآن سؤالاً محيراً لم يلق إجابة، وهو:«من هو اليهودي؟»

وارتباط اليهود واندماجهم مع شعوب الشتات قديم قدم التاريخ، فعلى سبيل المثال، بعد السماح لهم بالعودة من بابل فضلوا البقاء بها «فقد ألفوا الحياة الهادئة فى بابل، وانخرط الكثيرون منهم فى الصناعة والتجارة، ونسوا أورشليم، أو على الأقل لم تعد لهم نفس الحماسة والتطلع للعودة إليها، مما يدعوهم إلى ترك مراكزهم وأموالهم ويدفعون بأنفسهم إلى مغامرة جديدة فى أورشليم، وقد فضَّل أغنياء المنفيين البقاء حيث هم، بدليل ورود أسماء عبرانية بكثرة فى الوثائق التجارية لذلك العهد، وبعض هذه الأسماء

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الشتات، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ط١، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣٨.

مركبة لأسماء آلهة بابلية، ولابد أن من استجاب لنداء العودة كانوا من الناقمين الذين لم يكن لهم جذور فى الأرض الجديدة»[1].

ويروى ول ديورانت فى كتابة « قصة الحضارة»: « أن شباب اليهود لم يتحمسوا لهذا التحرير؛ لأن كثيراً منهم قد تأقلموا مع التربة البابلية، وامتدت أصولهم فيها فترددوا طويلاً فى ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلى القفار الخربة المقدسة»[2].

وعلى الرغم من النزاعات التى كانت قائمة بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، سواء القدامى منهم أو النازحون الجدد، بغرض الإقامة، فإن « الفلسطينيين العرب لم يبدوا أية مقاومة نحو اليهود الذين كانوا يحضرون لفلسطين للصلاة أو حتى للاستيطان لأهداف دينية، بل إنهم كانوا يرحبون بهم، وعلى الرغم من هذا لم يزد عدد اليهود فى فلسطين، عام ١٨١٤م عن عشرة آلاف يهودى فقط، وفى عام ١٩١٤م لم يزد عدد اليهود فى فلسطين عن ٣٥.٠٠٠يهودى من بين ١٢.٠٠٠.٠٠٠ يعبرون فى صلواتهم ثلاث مرات عن رغبتهم فى العودة إلى أورشليم، أى أن حلم العودة ظل له فعالية دينية فردية، ولم ينجح فى نقل اليهود و (المسألة اليهودية) إلى الشرق»[3].

ويؤكد الأديب الإسرائيلى أ. ب. يهوشوع، هذه الحقيقة بقوله:« إذا كان هناك أحد فى حاجة إلى الدليل النهائى والقاطع بشأن العلاقة المشكوك فيها بين اليهود وفلسطين، بشأن حقيقة أنهم لم يحاولوا العودة إلى فلسطين بشكل جدى، وبشأن خشيتهم من العودة والتصاقهم بالمنفى، فإنه ليس أمامه إلا أن يستعرض ويفحص سنوات الدولة الخمسين. إن الأبواب مفتوحة والإمكانيات هائلة، ولكن المهاجرين لا يأتون، إن موجات الهجرة تحت ضغوط: لاجئ النازية، لاجئ البلاد العربية، لاجئ البلاد الشيوعية....إلخ، أقلية لا بأس فقط، هي التي وصلت إلى إسرائيل بدافع من الرغبة

(١)حتى، فيليب (دكتور): تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة: جورج حداد، ط١ ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧، ص٢٤٣.

(٢)ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، جـ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٠، ص٣٦٥.

(٣)جانس، ج: الصهيونية وإسرائيل وآسيا. ترجمة: راشد حميد، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٢، ص٢٣ـ ٢٤.

الحرة»[1].

وأمام هذا الإخفاق الواضح لأهم مقوم من مقومات الصهيونية، وهو تجميع شتات اليهود داخل إسرائيل، ابتدعت الصهيونية وزعماؤها مزيداً من المصطلحات التبريرية تتعلق باليهود فى منفاهم، « فبعد إنشاء إسرائيل، لم يهرع اليهود إلى أرض الميعاد، ولم يتم تجميع المنفيين كما كان يتوقع الصهاينة، وهو ما اضطر بن جوريون إلى ابتداع مصطلح (منفيو الروح) ليصف اليهود الذين يحيون حياة جسدية مريحة فى المنفى، ولكنهم بلا شك معذبو الروح. وهو بهذا يتبنى الصيغة الصهيونية الثقافية. ولكن الملاحظ أن منفىّ الروح هم الأغلبية العظمى بين يهود العالم، أى أن اليهودية حتى بعد إنشاء الدولة الصهيونية لا تزال يهودية الدياسبورا. ولذلك فالجالوت، أو «المنفى القسرى» أصبح يسمى «تفوتسوت **תפוצות**»، أو « المنفى الاختيارى»، وهذا تناقض عميق فى المصطلح. ويبدو وأن الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تحدياً عميقاً لفكرة المنفى، إذ أنها تشكل نقطة جذب هائلة للغالبية الساحقة من يهود العالم»[2].

وهذه المصطلحات المفروضة التى تبنتها الصهيونية حول تواجد اليهود وانتشارهم فى شتى أنحاء العالم، والتي تباينت ما بين، « السبى»، و«المنفى»، و«الشتات»، و«المنفى القسري»، و«المنفى الاختياري»، و«المنفى الروحي»، قد أفرزت مشاكل عدة فى دول الشتات، وخاصة فيما يتعلق بشفافية الولاء والانتماء لموطن الرزق، والإقامة وعلى وجه الخصوص فى الولايات المتحدة الأمريكية ». فمصطلح جالوت «المنفى القهرى» لا يقبله اللا صهيونيون من اليهود فحسب، بل هو مصدر جدل بين الصهيونيين أنفسهم. إن اللا صهيونيين من اليهود يتحاشون استعمال هذا المصطلح؛ لأنه يلقى ظلالاً من الشك على انتمائهم للوطن الذين يعيشون فيه، وخاصة في أمريكا، ويفضلون التأكيد على الفروق بين الظروف التى يعيشون فيها فى العالم الحر وبين ظروف اليهود فى البلاد التى يتعرضون فيها للاضطهاد والتمييز، ويرفض كثيرون من الصهيونيين الأمريكيين النظر إلى اليهود هناك على أنهم جزء من (جالوت)، ويصرون على استخدام مصطلح

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٩٧.

(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق ، ص٩٧.

«تفوتسوت **תפוצות**»[1].

ووفق هذا، فإن الإيديولوجية الصهيونية تفرق بهذه المصطلحات بين تواجد اليهود فى البلاد التى ينعمون فيها بالاستقرار والثراء والقوة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ترى أنهم فى حالة « تفوتسوت **תפוצות** » أى «منفى اختياري»، وبالتالي فهجرتهم إلى إسرائيل غير واجبة، ويكفى هؤلاء أن يدعموا الصهيونية وإسرائيل وهم فى شتاتهم، وعلى العكس من ذلك، ترى أن اليهود فى دول الاتحاد السوفييتي (السابق) ودول الشرق الأوسط فى حالة «منفى»، وبالتالي فهجرتهم واجبة طبقاً لهذه المفاهيم الصهيونية. وفى هذا الصدد تقول دائرة المعارف العبرية « يجب التفريق بين « **גלות**» و«**תפוצות**»، فاستقرار الغالبية من أبناء الأمة ولو معظمهم خارج الوطن (يقصد فلسطين) لا يعتبر أساساً جالوت (منفى) بشكل عام طالما بقى الوطن (فلسطين) تحت سيادة (الأمة) أى أن هذا المنفى يعتبر «منفى اختيارياً»[2].

ولكن بشكل عام، فيما يخص الشتات اليهودى منذ القدم وحتى عصرنا الحالى، نجد أن دائرة المعارف العبرية تعرفه:«بأنه حالة وإحساس ذاتى لأمة مقتلعة من وطنها، وواقعة تحت سلطة الغرباء، والمصطلح (مفهوم الشتات) مخصص فى جوهرة للتاريخ والوعى التاريخى لليهود منذ فترة خراب الهيكل الأول، وحتى عصرنا الحالي».

وبالإضافة للمصطلحات الشتاتية التوراتية الواردة بالعبرية، هناك المصطلح اليونانى «دياسبورا» الذى يشير بشكل عام إلى الشتات والانتشار، إلا أن تفسيره الحديث بالإنجليزية قد ربط بين اليهود وفلسطين، حيث يفسر المصطلح بأنه «حركة الشعب اليهودى بعيداً عن وطنهم الأم (يقصد فلسطين) من أجل العيش والعمل فى بلاد أخرى»[3].

وعلى الرغم من ذلك فإن «كثيرًا من يهود الولايات المتحدة يرفضون استخدام هذا

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية فى إسرائيل، المرجع السابق، ص٢٨.

(٢)האנציקלופדיה העברית כללית יהודית ארץ ישראילית, מהדורה שניה, חברה להוצאת אציקלופדיות, תל- אביב, 1972, עמ'813.

(٣) Sally Wehmeienled: Oxford advanced learners dictionary, oxford university press, Sixty edition, (Oxford 2000), p.365.

المصطلح، بمعنى « المنفى المؤقت»، فالولايات المتحدة أو كندا هى وطنهم النهائى، وليس المؤقت. ولذا، ففى كتاب هوارد ساخار الأخير، الدياسبورا (١٩٨٥)، لا توجد أية إشارة إلى الجماعات اليهودية فى إسرائيل أو أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية وكندا)، باعتبار أنهما لا يشكلان «منفى»، وبالتالي لا يمكن الحديث عنهما باعتبارهما دياسبورا. فكأن كلمة «دياسبورا» تستبعد كلا من فلسطين والولايات المتحدة وكندا[١] .

«وبشكل عام فقد اكتسب مصطلح («دياسبورا» Diaspora) أهمية متزايدة فى أواخر القرن العشرين، فبعد أن كان المقصود به بشكل أساسى اليهود، وبشكل أقل اليونانيين والأرمن، أصبح هناك ما يزيد عن ثلاثين مجموعة إثنية تعلن عن كونها شتاتًا، أو عن نظرة الآخرين لهم باعتبارهم كذلك، فلماذا هذا الاهتمام الآن؟! من جهة يرجع ذلك إلى خوف العديد من الدول من اتساع حجم الهجرة العالمية، وبالتالي عدم قدرتها على تشكيل نظام اجتماعى مستقر، ومن جهة أخرى، لم تعد الأقليات راغبة فى التخلى عن ماضيها، فمعظمها اكتسب أو حافظ على جنسية مزدوجة فى الوقت التى ساعدت فيه نتائج العولمة على المحافظة على العلاقات مع الوطن الأم»[٢] .

ولكن الشتات اليهودى فى جانبه الدينى التوراتي الموروث، هو شتات له خصوصيته فى حالات الماضي، وصفته الشاذة فى الحاضر؛ لأن الشتات الطبيعى يستلزم عنصرين أساسيين هما: المركز (موطن الميلاد)، والموطن الجديد للشتات، فالشتات اليهودى يفتقد صفة المركز (كون فلسطين أرض عربية محتلة). «إن الشعب اليهودى لم يخلق فى فلسطين، إن العلاقة المادية والأولية بين الشعب (ووطنة)، ليست علاقة طبيعية، لقد تم إعداد اليهود كشعب فى مصر، ومن هنا فإن المنفى كبوتقة لصهر اليهود تسلل إلى أعماق الوجود اليهودى، وأكثر من هذا فقد أعطيت التوراة فى الصحراء وليس فى فلسطين، والتوراة ـ إطار الصفات التى سوف تحدد هوية اليهود وتحدد رسالتهم. لم يتم منحها فى فلسطين. إن العلاقة الخاصة التى قطعت بين الشعب والرب كانت بدايتها فى الصحراء

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) Robin Cohen: Diasporas and Nation state from victims to challengers international affairs, vol. 72, no.3, 1986, pp.507: 520.

وفى منطقة خاوية، وفى منطقة وسط بين المنفى وفلسطين»[١].

وقد تبنى الأديب المعاصر أ.ب. يهوشوع[٢]، وجهة نظر مماثلة حيث يرى:« أن الشتات ركيزة رئيسية للوجود اليهودى، فقد ولد إبراهيم (عليه السلام) أبو الأمة خارج فلسطين. واستدعاه الرب لترك وطنه وبيت أبيه ليصل لأرض جديدة اختارها له الرب؛ من أجل أن يخلق فيها شعباً جديداً مع عهد وميثاق جديدين (إذن فاليهودى الأول هو المهاجر الأول، ولكن هذا المهاجر هو أيضاً النازح الأول. لقد كانت الظروف الاقتصادية فى أرض كنعان صعبة. فنزح إبراهيم فوراً إلى مصر.

وكم هو مفزع أن نعتقد أن هذا الرجل الكهل، الذى ترك موطنه وبيت أبيه بأمر الرب لكى يصل إلى أرض كنعان المزمع أن تكون بلد الشعب الذى سيولد من نسله، ولا ينجح فى الصمود فيها، بالرغم من أنه كان رجلاً موسراً. وينزح منها إلى بلد آخر. كان من الممكن أن نفهم ضعفه لو كانت قد عمته الأشواق إلى وطنه. ولكن الأمر لم يكن كذلك. انه لم يعد إلى وطنه. ولكنه نزح إلى بلد آخر. إن اصطلاح«نازح» ولد فى قصة إبراهيم. واليهودى الأول هو المهاجر الأول والنازح الأول. وقد ظل اليهودى يحمل فى داخله هاتين الصفتين المرتبطتين بالهجرة والنزوح عبر التاريخ كله. إن إبراهيم يهاجر وينزح ويعود للهجرة»[٣].

وإذا كان الشتات اليهودى له خصوصيته الناتجة عن كونه عقاباً وقع عليهم من ربهم على ما اقترفوه من معاص جعلته يفرض عليهم المنفى والشتات، إلا أنه هناك وجهة نظر

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص٣٥.

(٢)ولد أ. ب. يهوشوع فى القدس، عام ١٩٦٢ ، ويعيش حالياً في حيفا. درس يهوشوع الأدب والفلسفة فى الجامعة العبرية بالقدس. كما عاش خارج إسرائيل، في الفترة من ١٩٦٣ – ١٩٦٧م. يعتبر من أبرز ملامح الأدب العبرى فى إسرائيل، منذ الستينيات وحتى الآن. ومن الأدباء المحسوبين على اليسار الإسرائيلى، فقد نادى فى كتاباته بأن تكون إسرائيل دولة كل مواطنيها بما فيهم عرب ١٩٤٨م. كما رأى أن الشتات ركيزة أساسية للوجود اليهودى. نشر يهوشوع العديد من الأعمال الأدبية تعاطف فى بعضها مع الحق الفلسطينى. كما كان من أبرز أعماله «فى مواجهة الغابات»، «العاشق»، « الطلاق المتأخر»، «مولخو»، «السيد مانى»، «رحلة للهند». للمزيد، راجع: الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٣٠.

(٣)المرجع السابق، ص٣٤.

ترى أن هذا الشتات « باعتباره حادثة وقعت (للشعب اليهودى)، وكارثة كانت الشعوب هى السبب فيها، وفرضتها على اليهود»[١].

وهناك وجهة نظر ثانية تنظر إلى هذا المنفى «كظاهرة دائمة وشبه طبيعية بالنسبة لليهود، وأنها تعترف بالتعاون الوثيق بينها وبين هذا الشكل من أشكال الوجود. ووفقاً لوجهة النظر هذه تعتبر اليهود شعباً شتاتياً ، وهنا تكمن قوته الوجودية»[٢].

وبناء على ما تقدم من مصطلحات مختلفة تعبر عن الشتات بشكل عام، وعلاقة تلك المصطلحات بالشتات اليهودى بشكل خاص، يبدو واضحاً تأكيد الصهيونية من خلال تلك المصطلحات على عدة أمور هى:ـ

* تثبيت فلسطين فى الوعى اليهودى على أنها الوطن الأم لليهود قبل الشتات.

* التأكيد على المبدأ الذى تبنته الصهيونية «بالعودة» للوطن إلى ما يسمى «أرض الميعاد».

* خصوصية الشتات اليهودى لكونه عقاباً إلهياً.

* ابتداع مصطلحات ومقولات جديدة لحل معضلة يهود الشتات الرافضين لمبدأ «العودة»، مثل مصطلح «المنفى الروحى» . وذلك للاستفادة من دعم الشتات المستقر (كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية) للوجود اليهودى فى فلسطين.

وقد ابتدعت الصهيونية مصطلحاً يتواءم مع كل ذلك ومع الشتات اليهودى، وهو «تفوتسوت» (תפוצות) بمعنى (المنفى الطوعى)، « والكلمة مشتقة من الفعل الأجوف (פץ)، فى وزن הפ' (הפיץ) بمعنى (رّوج ـ وزّع ـ نثر ـ بعثر ـ انتشر ـ تشتت)، (شتات ـ تفريق)، مجازاً مهجر، وجمعها مهاجر (البلدان التى هاجر إليها مواطنو دولة أخرى، أو أقوام أخرى، أو اضطروا للهجرة إليها) [٣].

(١)المرجع السابق، ص٣١.

(٢)المرجع السابق، ص٣٢.

(٣)سجيف، دافيد: قاموس عبري ـ عربي للغة العبرية المعاصرة، مجـ٢، دار شوكين للنشر، القدس ـ تل أبيب، ١٩٩٠، ص١٩١٠ – ١٩١١.

وقد ورد المصطلح (תפוצות) [١]، وفى العهد القديم بمعنى «بدد» (وأبددكم فتسقطون كإناء شهى) [٢].

أما المصطلحات الأخرى التى عبرت فى مجملها عن التواجد اليهودى خارج فلسطين بمسماها العبرى، فهي«جالوت גלות»، بمعنى«نفى ـ جلاء ـ إجلاء ـ هجرة ـ منفى ـ مهجر» (جالوت اليهود فى منفاهم) جاليات كناية عن التنقل والترحال»[٣].

وهو من الفعل الثلاثى גלה بمعنى اغترب ـ هاجر ـ نزح. والمعنى الوارد فى قاموس« ابن شوشان» يؤكد على المفهوم الصهيونى بأنه « الانتزاع من أرض الموطن» (يقصد فلسطين) إجباراً لأرض أخرى غريبة، واستقرار المنفيين عليها كموطن إقامة لهم»[٤].

وقد وردت كلمة « גלות » فى العهد القديم بنهاية آرامية (מן בני גלותא من أبناء السبى)، حيث جاء بالفقرة « حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعاً، وقال له هكذا. وقد وجدت رجلاً من بنى سبى يهوذا الذى يعرف الملك بالتعبير»[٥]. وقد وردت « גלות» فى العهد القديم فى أكثر من موضع بمعنى السبى، وجاءت مفردة

(١)تفوتسوت: يوجد فى قلب تل أبيب مركز حديث يحمل اسم « בית התפוצות » يقدم إمكانيات هائلة من الاتصالات على مستوى العالم للربط والتوفيق بين مختلف الجماعات اليهودية والعمل على جمع شتات العائلات والأسر المختلفة، وإعادة التجمع بين المشتتين من عائلة واحدة، وفى أماكن مختلفة من العالم، وإعادة التعارف والدمج، ويضع على واجهته لوحات إرشادية بجميع اللغات ترحب بالقادمين لهذا المركز، ومن ضمن أهدافه تنفيذ الأهداف الصهيونية التى تعمل على «تجميع المنفيين» وجذبهم إلى إسرائيل، والمركز يعمل على تحسين صورة إسرائيل من خلال قنواته الإعلامية أمام اليهود فى دول الشتات.

(٢)أرميا(٢٥ / ٣٤)؛ שטיינברג , יהושע: מלון התנך עברית וארמית, הוצאת יזרעאל, תל- אביב, 1977, עמ'894.

(٣)سجيف، دافيد: المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٤)أيفن شوشان، إبراهام: القاموس العبرى الشامل، القدس، ١٩٨٨، ص١٠٠.

(٥)אבנירי, יצחק: יד הלשון, אוצר לשוני , עורך לפי הנושאים, בסדר אלף – בית, הוצאת יזרעאל, תל- אביב, 1977,עמ'1520.

«גלות»[١] ، ومعرفة بالهاء « הגלות» [٢]، وبنفس المعنى «السبى» وردت فى المشنا[٣] بعدة صور، فقد وردت مفردة« גלות» [٤]، ومسبوقة بحرف الباء « בגלות» [٥]، ووردت أيضاً فى بعض المواضع « הגול» [٦]، وجميعها بمعنى السبي فى الترجمة العربية.

وقد ورد المصطلح بمعنى السبى أيضاً، فى أكثر من موضع بالعهد القديم، وبأكثر من صورة، فقد جاء بصيغة المفرد « הגולה»[٧] وبصيغة الجمع المذكر « גולים » بمعنى المسبيين[٨]، وجاء المصطلح فى موضع آخر بمعنى النفى أو الطرد[٩]، أما فى التلمود فقد ورد المصطلح كما هو الحال فى العهد القديم والمشنا، ولكن سبق «الواو» حرف

---

(١)الكتاب المقدس، كتب العهد القديم والعهد الجديد، مترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٨٢. ارميا (١/ ٣) « سبى أورشليم»، (٢٤ / ٥) « سبى يهوذا»، (٤٣ / ٣) «وليسبونا إلى بابل».عاموس (١/ ٦) «لأنهم سبوا سبياً كاملاً».حزقيال (٣٣/ ٢١) « من سبينا فى الشعر العاشر».أشعيا (٤٥/ ١٣) « يبنى مدينتى ويطلق سبى».

(٢)أرميا (٢٤ / ١) «أمام هيكل الرب بعد ما سبى نبوخذ نصر»، (٢٧ / ٢٠) «ملك بابل عند سبيه يكنيا بن يهوياقيم»، (٤٣ / ٣) « وليسبونا إلى بابل»، (٥٢ / ١٣) «لسبى يهوياكين»، المراثى (٤/ ٢٢) «لا يعود لسبيك»، حزقيال (١/ ٢) «من سبى يهوياكين»، (٣٩/ ٢٥) « سبى يعقوب»، أشعيا (٢٠ / ٤) « سبى مصر»، عوبديا (٢٠) «وسبى هذا الجيش وسبى أورشليم»، دانيال (٢/ ٢٥) «وجدت رجلاً من بنى سبى يهوذا».

(٣)קאמארישקי, חיים יהושוע: אוצר לשון המשנה , ספר המתאימות, קונקורדנציה לששה סדרי משנה, כרך: ג, מהדורה מתוקנת , הוצאת מסדה בע«מ, תל- אביב, 1967, עמ'448.

(٤)מכות (2/ 6), » מי שנתחייב גלות מחזירין אותו למקומו« , אבות (1/ 11) » שמא תחובו חובת גלות« (5/ 9) »גלות באה לעולם ע«ג ועל גלוי ערוות».

(٥)שקלים (6/ 3) «למה נקרא שמי יכניה שבי יצא יכניה בגלותו».

(٦)עירובין (10/ 14) «וממלאים מבור הגולה» , שקלים (2/ 4)«שכשעלי ישראל מן הגולה», נזירים (56/ 4) «וכשעלו בני הגולה», מדות (3/ 4) «לשכת הגולה»,(5/ 4) «בור הגולה».

(٧)أرميا (١٩ / ١)، (٢/ ١٧) « هذا كلام الرسالة التى أرسلها أرميا النبى إلى أورشليم إلى بقية شيوخ السبى».، «إلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر ـ لم يخرجوا معكم فى السبى » ، حزقيال (٢٥/ ٣) وعلى بيت يهودا لأنهم ذهبوا إلى السبى»، عزرا (٤/ ١) « ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى يبنون هيكلاً للرب»، (١٠/ ٨) « وهو يفرز من جماعة أهل السبى».

(٨)عاموس (٦/ ٧) «لذلك الآن يسبون فى أول المسبيين».

(٩)اشعيا (٤٩/ ٢١) «فتقولين فى قلبك من ولدى هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر ومنفية ومطرودة»(גולה ומורה).

الياء فجاءت « גלויות »[1].

وعليه فإن مصطلح الشتات اليهودى فى صوره المختلفة (جالوت גלות ـ جولاه גולה ـ دياسبورا ـ تفوتسوت **תפוצות**)، والتي تعبر فى مفهومها العام عن (المنفى ـ السبى ـ الطرد ـ التشتت ـ الشتات)، فهى تعبر عن التواجد الخارجى لليهود بعيداً عن فلسطين.

وسوف نستخدم فى دراستنا مصطلح «الشتات اليهودى»، وذلك لعمومية هذا المصطلح لأنه بشكل عام يعبر عن التواجد الخارجى المستقر والثابت الكائن فى شتى أنحاء العالم، وخاصة العالم الجديد من جميع بقاع الأرض. وهذا التواجد ينتمى إلى مركزه الأصلى والقومى ووطنه الذى يمثل جذوره الأصلية، وروافده اللغوية والثقافية. وهذا فى حد ذاته يعتبر الشكل الطبيعى والنموذج القانونى للشتات.

ويبتعد الشتات اليهودى عن هذا النموذج الطبيعى، بسبب افتقاده لمركزه وكذا بسبب النظرة والتعامل مع هذا الشتات، استناداً إلى أساطير وأفكار أيديولوجية نفعية معينة تختلف عن نظرة باقى العالم لشتاتها. فعلى الرغم من وجود هدف مشترك لجميع دول العالم، وهو الاستفادة من دعم هذا الشتات لمركزه الأصلى، فإن الوضع يبدو مختلفاً بالنسبة للشتات اليهودى، حيث تعمل الصهيونية على نقل جماعات الشتات إلى «فلسطين» لدعم الاستيطان اليهودى هناك، وتأكيد وجود المركز أى « فلسطين»، علاوة على السعى للاستفادة من المشتتين المستقرين فى شتاتهم دون أن تكون لديهم أدنى رغبة فى مغادرة موطنهم إلى «فلسطين»، وهذا الذى نشهده فى الوقت الراهن، ليس بجديد، ففى فترة السبى البابلى « سمح البابليون لليهود بالاستقرار فى شتى أنحاء مملكتهم، واستمر اليهود فى ترسيخ أقدامهم فيها، بحيث أصبحوا دولة داخل دولة، دولة تمتلك من الثروة والقوة بحجم لا يستهان به». وعندما سمح قورش الفارسى لأهالى يهودا بالعودة إلى وطنهم، عام ٥٣٨ ق.م، فضَّل معظمهم البقاء فى بابل»[2].

---

(١)אבנירי , יצחק: שם, עמ'520.

(٢) The Hebrews a learning module , the Diaspora Hebrew history: The Diaspora. http://www.wsu.edu1-dee/Hebrews /diaspora /htm10f2. 1996 Richard Hooker.

ويمثل التواجد اليهودى المستقر فى الولايات المتحدة الأمريكية، شتاتاً يماثل شتات بابل، عندما استقر اليهود هناك، ورفضوا النزوح إلى فلسطين عندما أتيحت لهم الفرصة، فهاهم يهود أمريكا يرفضون مغادرتها إلى فلسطين أيضاً، على الرغم من قيام دولة إسرائيل ومع الضغوط الصهيونية، فهذا يمثل نوعاً من الفشل الأيديولوجى الصهيونى، ويبرهن على أنه لا الحركة الصهيونية ولا دولة إسرائيل تعبير عن آمال اليهود. وكما كانت هناك اصطلاحات شتاتية للخروج من المأزق الشتاتى، هناك أيضاً، مصطلحات للتملص من الصهيونية وأهدافها. «ولعل أهم محاولات التملص هو ما يسمى «بصهيونية الدياسبورا»[1].

وهو اصطلاح متناقض مع نفسه إلى أقصى حد. فالصهيونى هو الشخص الذى يؤمن بأن اليهود يكونون شعباً مثل كل الشعوب، وأن فلسطين أو إسرائيل هى وطنه القومى. ولذا يكون من واجب اليهودى الصهيونى أن ينهى « غربته»، وأن يهاجر إلى وطنه القومى فى أول فرصة قد تسنح له. فالفكر الصهيونى يضع الوطن القومى فى مقابل المنفى. فيرى أن الوطن القومى جدير بالبقاء، أما المنفى والشتات فلابد من تصفيتهما أو الاحتفاظ بهما كشيء تابع، باعتبار أن الدولة الصهيونية هى بمثابة المركز لحياة اليهود داخل وخارج فلسطين. ولكن يهود الدياسبورا لا يقبلون هذا التعريف الصهيونى الذى يضعهم فى المرتبة الثانية. ولذلك فقد ظهرت صيغة تحاول أن تقبل القيم الصهيونية«القومية»، ولكنها تجعل فعاليتها تنطبق على المستوطن الصهيونى وحسب، أما بالنسبة ليهود الدياسبورا فيمكنهم أن يحيوا حياتهم دون أن تتحكم فى سلوكهم السياسى أو الفردى القيم الصهيونية. وهذه الصيغة الجديدة صيغة انتهازية « نصف الصهيونية » إن صح التعبير[2].

ويقترب هذا المصطلح من مصطلح «المنفى الروحي»، وكلاهما يمثل علاقة اليهودى المستقر فى شتاته « بأرض الميعاد» التى يذكرها ويذكر بها نفسه فى صلواته،

(١)لطفى عابد وموسى عنتر (ترجمة)، د. أنيس صايغ. الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية ـ بيروت مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠، ص٤٧٢.

(٢)عبد السميع حجازى، هدى: بعض كلاسيكيات الرفض اليهودى للصهيونية مطالعات ـ عالم الفكر ٤(١)، الكويت، ١٩٨٣، ص١٤٥.

ويتجه إليها بقلبه، وخاصة عند المتدينين الذين يرون أن نفى اليهود من «أرض الميعاد» هو من الأعمال الربانية التى لا يجب مخالفتها أو تحديها حتى يأتى الأمر من الرب، أيضاً.

ثانياً: المنظور التاريخى

ترجع التوراة والدراسات التاريخية المتعلقة بها « الشتات » على وجه العموم (بمسماه المنفى أو السبى أو أى معنى يفيد الابتعاد أو الاغتراب عن مكان المنشأ لمكان آخر ولأسباب مختلفة) إلى فترات بعيدة موغلة في القدم تاريخياً تصل إلى بدء الخليقة، وحواء وآدم، وقصة الخروج من الجنة والاستقرار على الأرض، وبداية التناسل الإنساني.

« إن طرد آدم وحواء من جنة عدن يمثل موضوعاً يلقى بظلاله على أسفار التوراة الخمسة كلها. حيث لم تتوقف التوراة عن الانشغال بموضوع المنفى منذ أن خرج إبراهيم «عليه السلام» ورحل إلى أرض كنعان، وتلى ذلك شتات بنى إسرائيل لفترة طويلة في الصحراء»[1].

وقد أرجعت التوراة شتات أو اغتراب ابنى حواء وآدم لأسباب ربانية، بدءا بطرد حواء وآدم، ثم شتات وغربة قايين على وجه الأرض، حيث جاء في سفر التكوين: «فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها، تائهاً وهارباً تكون في الأرض، فقال قايين للرب ذنبى أعظم من أن يحتمل، إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي، وأكون تائهاً وهارباً، فيكون كل من وجدنى يقتلنى، فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه ، وجعل الرب لقايين علامة لكى لا يقتله كل من وجده ، فخرج قايين من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقى عدن»[2].

«وقد هاجر إبراهيم (عليه السلام) بأمر من الرب من موطن ولادته (أوركسديم) في النصف الأول من الألف الثانى ق.م، وبعد فترة تشرد طويلة استقر فى أرض كنعان

(١)איזן, ארנולד: גלות, עם עובד, תל- אביב, 1987, עמ/68.

(٢)تكوين: (٤/ ١١ – ١٦)

(فلسطين)، ولم تحدد التوراة (وهى المصدر الوحيد المتاح لنا حول بدايات تاريخ إسرائيل) الأسباب السياسية والاقتصادية التى جعلته يهجر (أوركشديم)، ولكن من خلال مصادر خارجية أخرى يمكن الاستنتاج أن السبب هو غارات الأعداء لآرام النهرين الجنوبية، التي كانت مصحوبة بأعمال تخريب على ما يبدو من عدد من القبائل السامية التى تشردت في الشمال»[1].

«ويمكن التأكيد أيضاً على حقيقة أن إبراهيم (عليه السلام) كفر بالمعتقدات الوثنية التى كانت سائدة في قبيلته، وكان يؤمن بإله واحد خالق السموات والأرض الذى لم يصنع له أى صنم أو صورة، سواء من الخشب أو الحجر، ويروى أنه وجد نفسه مضطراً لترك تلك البلاد التى يعد فيها كافراً (بالنسبة لهم)، وربما يطارد لهذا السبب، والإقامة في موطن آخر يكون فيه حراً في ممارسة عقيدته، وأن يجد لها تابعين، حيث عرف إبراهيم (عليه السلام) في التاريخ الإنسانى بأنه صاحب عقيدة التوحيد»[2].

وكذلك ترجع التوراة جميع أحداث السبى التى تعرضت لها أسباط ومملكة إسرائيل – مع ضعفها سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً – إلى انحراف ملوكها وعصيانهم للرب، وعدم التزامهم بالتعاليم الدينية الصحيحة، وبالتالي كان من السهل الانقضاض عليها من الدول المجاورة، حيث أصبحت تمثل مطمعاً سهلاً لاستغلال أراضيها وسكانها وخاصة من الآشوريين والبابليين، وما تلى ذلك من أحداث السبيين، الآشوري والبابلي.

«في السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ملك هوشع بن آيلة في السامرة على إسرائيل تسع سنين، وعمل الشر في عينى الرب، ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله. وصعد عليه شلمانسر ملك آشور فصار له هوشع عبداً، ودفع له جزية»[3].

«وكان أن بني إسرائيل أخطؤوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر، واتقوا آلهة أخرى وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين

(١)ורמברנד, מרדכי; ס, רות בצלאל: עם ישראל תולדות 4000 שנה, הוצאת מסדה, (תל – אבעב 1966) , עמ/5.

(٢)ורמברנד, מרדכי; ס, רות בצלאל:שם, עמ/5.

(٣)ملوك ثانى (١٧/ ١-٤).

طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم»[١]. «وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربُعام التى عمل. لم يحيدوا عنها حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه، كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم»[٢].

«وقع السبى الآشورى لإسرائيل عام (٧٢١ ق.م) حيث تم سبى الأسباط العشرة، ورموز أسباط غور الأردن الشرقى والمستوطنين بالشمال لآشور»[٣].

«وهناك مصدر أكادي غير كامل حدد عدد الذين تم إجلاؤهم بـ ٣.٠٠٠ أسير، وكانوا على ما يبدو من الرجال فقط، ومن خمس مدن بالجليل، حيث احتلت العاصمة في (٧٢١ق.م). وتم نفى سكان السامرة ٢٧.٢٩٠ نفسًا، ويجب أن نسلم بأن عدد الذين تم إجلاءهم بكل البلاد، كان غريباً»[٤].

«وصعد ملك آشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين، فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى»[٥]. «وهذا المنفى إلى حلج ونهر جوزان ومدن مادى، حيث استقروا فى تلك الأماكن وأقاموا بعد ذلك اتصالاً مع منفى يهودا دون أن يعرف اليوم بوضوح كم منهم تكيف مع الذين تم إجلاؤهم من الآخرين، وكم منهم اختلط مع غير اليهود من كل اتجاه»[٦].

أما السبى البابلى «فقد ذهب اليهود إلى بابل كأسرى على ثلاث مراحل، كانت الأولى من ٥٩٧ ق.م، عقب سبى «يهوياكين» والذى تم فيه إبعاد حوالى عشرة آلاف رجل، يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفاً من الناس معظمهم من أورشليم، والبقية من مدن الجنوب. وأما السبى الثانى ـ أو السبى الكبير ـ فقد كان فى عام ٥٨٧ق.م، وقد تم

(١)ملوك ثانى (١٧/ ٧-٩).

(٢)ملوك ثانى (١٧/ ٢٢-٢٤).

(٣)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'813.

(٤)שם' עמ'813.

(٥)ملوك ثان (١٩ / ١٥).

(٦)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'814.

فيه إبعاد أربعين ألفاً وفقاً لأحد الآراء، وخمسين ألفاً على رأى آخر. ويعد هذا السبى على أى حال بمثابة التشريد لمن سمح لهم بالإقامة فى أورشليم، ومن لم يؤخذ إلى «ربلة» أو بابل، فقد هاجر إلى مصر هرباً مما قد يتعرض له من أذى. وأما السبى الثالث فقد كان عام ٥٨٢ق.م ويظهر أن المجموع النهائى للسبى كان أقل بكثير ممن تركوا فى يهوذا. وكانت يهوذا على أى حال أبعد من أن تكون قد أفرغت كالسامرة من أهلها، أو أتلفت، أو دمرت، أو تركت، دون أن تزرع»[١].

وبالإضافة لذلك تقول دائرة المعارف العبرية:« أن النفى قد استكمل فى صيف ٥٨٧ ق.م، حيث خربت القدس، وتم نفى الكثيرين من الشعب ومعهم ملكهم، وأدى مقتل جداليا بن أحيقام إلى هروب الكثيرين إلى مصر»[٢].

ولم يكن السبى البابلى سبياً عادياً ولكنه كان كارثة للمكان بالنسبة ليهودا، إبان غزوها فى عام ٥٨٦ ق.م «حيث سويت المدن كلها بالأرض، وذبح سكانها ، ولم يكن ذلك من قبيل اضطهاد اليهود، بل كانت تلك هى الطريقة التى يعامل بها الآشوريون والبابليون الولايات الثائرة عليهم، وتركت يهودا خربة، ومقفرة، وغير مسكونة، وأرسلت الطبقات العليا إلى السبى فى بابل، وتفرقت البقية فى عمون، ومؤاب، وسوريا، وفى مصر، فشكلت بذلك بداية الشتات»[٣].

وعلاوة على الشتات اليهودى الناجم عن السبيين، الآشوري والبابلي، كان لهم نصيب من أشكال السبى الآخرى، على غرار ما كان يحدث فى المنطقة فى تلك الآونة، فقد كانت هناك الحروب والتى فى أعقابها يقع اليهود أسرى فى أيدى الأعداء، وكان من عادة المنتصر أن يحتفظ بالأسير بعيداً عن موطنه، ليكون مشتتا وفى خدمته أو يبيعه، حيث كانت تجارة النخاسة رائجة فى ذلك الوقت، وقد سجَّل لنا سفر عاموس إشارة إلى ذلك حيث يروى «أن أهل غزة قد اتخذوا أسرى من الإسرائيليين وباعوهم

(١)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، جـ٢، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٩٠٢ – ٩٠٣.

(٢)האינציקלופדיה העברית שם עמ' 814.

(٣)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور) : المرجع السابق، ص٢١- ٢٢.

للآدوميين»[١].

وتروى أسفار العهد القديم أيضاً، أن بنى إسرائيل قد مارسوا عملية السبى ضد بعضهم البعض قبل سقوط السامرة، فيروى سفر أخبار الأيام الثانى « أنه فى عهد آحاز وبعد إحدى المعارك التى انتصر فيها ملك إسرائيل أن آحاز هذا دفعه الرب ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة، وقتل ملك إسرائيل مائة وعشرين ألفاً فى يوم واحد من يهوذا وسبى بنو إسرائيل من إخوانهم مائتى ألف من النساء والبنين والبنات، ونهبوا منهم غنيمة وافرة، وأتوا بها إلى السامرة»[٢].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن أسلوب السبى كان عادة قديمة عند الأمم المتحاربة فى الأزمنة القديمة، فكان المنتصر يحتجز عنده الأسرى ويقوم بترحيل ما يصبوا إليه من جموع الشعب، وخاصة ذوى المهن والحرف التى تلزمه، ويحتاج إليها لدعم مملكته، علاوة على إزاحة عدد كاف لإضعاف الشعب المهزوم.

«ويذكر التاريخ أن خليفة سرجون الثانى، وهو سنحاريب قد نفى من الجنوب العراقى إلى شماله أكثر من مائتى ألف من الآراميين، عقاباً لهم على اشتراكهم فى ثورة فاشلة بتحريض من العيلاميين، وهذا العدد من الآراميين يفوق سبعة أضعاف المنفيين الإسرائيليين من السامرة إلى بابل»[٣].

ويبدو أن أسلوب سرجون الثانى وخليفته فى السبى والإبعاد والتدمير يروق لقادة إسرائيل، فى الوقت الحاضر، حيال التعامل مع الفلسطينيين بانتهاج هذا الأسلوب القديم.

وبطبيعة الحال، كان للسبى آثاره على المعتقدات الدينية، كما هو الحال كما كانت آثاره السياسية والاقتصادية »، فقد تحطمت المعتقدات اليهودية القديمة بعد السبى البابلى، حيث سقطت مقولة (أن أورشليم هى مقر يهوه، ومن ثم فهى لن تقهر، وأن بيت داوود سوف يحكم إلى الأبد)، إذ لم يدافع يهوه عن صهيون ولم يحكم آل داوود إلى

(١)عاموس (١ / ٦).

(٢)أخبار أيام ثان (٢٨/ ٦: ٩).

(٣)نعناعة، محمود: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، الأنجلو المصرية، (القاهرة ١٩٧٢) ص٢٩٦.

الأبد، ووجد المنفيون فى مصر وبابل حضارات تفوق حضاراتهم بمراحل، وأدركوا كم كانت يهودا صغيرة، وشكوا فى إمكانية أن تكون دولة صغيرة كدولتهم محل اختيار الله العظيم»[١].

«وقد سمح لأهل السبى من اليهود بممارسة ألوان الحياة التى كانوا يحبونها فى بلادهم، واعتادوها، فمنحت لهم الأراضى ليزرعوها على نفقتهم الخاصة، وكذلك سُمح لهم بمراسلة بنى جلدتهم فى أورشليم ، فكانوا يعيشون في بابل فى شكل عائلات ولهم مطلق الحرية فى تزويج أبنائهم وبناتهم»[٢].

ووجد المنفيون أنفسهم فى وسط حضارة غنية أكثر من أى حضارة أخرى من فن، وعمارة، وعلم، وكان لكل هذا الأثر الكبير على تفكير وثقافة المتعلمين من اليهود، مما أدى بهم إلى التأقلم مع المجتمع البابلى والتأثر به، مما انعكس عليهم ثقافياً ودينياً. وحيث كان من بينهم فئات مثقفة وعلى دراية بتعاليم من هذه الأجواء الثقافية والدينية لصالحهم وصالح دينهم»[٣].

ولم يتمكن اليهود فى بابل من مباشرة طقوسهم وعباداتهم على النحو المعتاد فى أورشليم، ومن هنا أهمل يوم السبت، وتقاليده، وطقوسه، واستبدلت الأضاحي بالصلوات والصيام، وأهملوا عادة الختان، ولكن فى الوقت نفسه، اتجهوا إلى الرب لإحساسهم بمشقة السبى والغربة، ومن هنا تم إنشاء الكنيس بديلاً عن المعبد فى أورشليم، وتقبلوا ما أصابهم على أنه جزاء من الرب بغرض التطهر من آثامهم وذنوبهم. وقد استفاد اليهود فى شتاتهم من احتكاكهم بالحضارات الأخرى وشعوبها ثقافياً، وأيضاً تجارياً، حيث أثرى لديهم الحس التجارى. كما أدى السبى كذلك إلى ظهور عدد من الأعياد اليهودية، مثل يوم التاسع من آب (أغسطس)، كذكرى لتدمير الهيكل، وكذلك يوم الأول من تشرين (ذكرى تمجيد التوراة)، وظهور صوم جداليا، وكذلك أحي السبى عدداً من الأعياد كعيد المظال، وسنة اليوبيل، وأخذ اليهود عن البابليين كثيراً من

(١)نفس المرجع، ص٢٢.

(٢)ارميا (٢٩/ ٦).

(٣)ارميا (٢٤/ ١ - ١٠).

مقومات الحضارة، مثل التوقيت، وسك العملة، والمقاييس، وغيرها ...

«على أية حال، فإن الحقائق التى تظهرها عمليات البحث الأثري، تؤكد بالدليل القاطع، وعلى حد قول الباحث والأثري الشهير W. F. Albright أن التدمير البابلى للمدن اليهودية كان مؤثراً للغاية، لدرجة أن القليل منها قد أعيد تعميره فيما بعد. أما الباحثة المعروفة K. Kenyon فقد أكدت من جانبها، ومن خلال عمليات التنقيب التى أجرتها فى فلسطين، أن «أورشليم» كانت قد دُمرت وهجرت من سكانها ، كما أن مدناً أخرى مثل «لخيش» و«بيت شان» قد انقطع عنها العمران بصفة نهائية بعد التدمير البابلى، وأصبحت غير مأهولة فى تلك الفترة من الزمن. وفى مقابل ذلك التدمير والتشريد البابلى، تروى المصادر التاريخية أنه قد أعيد تعمير أرض فلسطين (فى منطقة يهوذا). بالكثير من القبائل الأجنبية، مثل الآدوميين، والعرب الأنباط، الذين اندفعوا من الجنوب إلى الشمال، ليشكلوا فى النهاية ـ كياناً متداخلاً مع بقايا الإسرائيليين هناك»[1].

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لمصير « يهوذا» (مملكة يهودا فى الجنوب)، فإن مصير السامرة (فى الشمال) كان على شاكلتها فى هذا المصير التدميرى إبان السبى الآشورى، حيث «تروى المصادر الآشورية عن عملية ترحيل تمت بشأن الإسرائيليين، وتذكر مصادر تاريخية أنه قد تم ما لا يقل عن أربع عمليات ترحيل لسكان إسرائيل من القبائل العشرة، فى ظل حكم «سرجون الثانى»، هذا بالإضافة إلى عمليات ترحيل أخرى تمت فى عهد خلفائه « سنحاريب» و «آشور بانيبال» . وقد امتدت عمليات التشريد هذه من جانب الآشوريين لتشمل الإسرائيليين من سكان مملكة «يهوذا» فى الجنوب[2].

«وفى مقابل ذلك الأسر والتشريد، قام الآشوريون بجلب قبائل أجنبية لتعمير السامرة، وغيرها من مدن مملكة إسرائيل المنقضية، وكان من بين هذه القبائل ـ فيما تذكره المصادر ـ أربع قبائل عربية، سكنت مدينة السامرة وحدها، وهى قبائل ثمود، وعيبادى، ومر سيحانو، وحيبايا. وهكذا فقد وصلت المملكة الشمالية الآن ـ على حد

(١)فراج، على مسعد طه: إسرائيل.. إلى أين؟ (دراسة فى فكر وتاريخ اليهود، ومصير دولتهم الحالية)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٩.

(٢)نفس المرجع، ص٣٥.

تعبير اللاهوتى اليهودى R. Kittel إلى نهايتها، حتى لو كانت الغالبية العظمى من السكان قد بقيت، حيث أن اللب الحيوى للأمة ـ على حد قوله ـ قد انقضى، وامتزج دين أجنبى وقومية أجنبية مع مثيلتها عند الإسرائيليين، وصار الحكام الآشوريون هم القائمين على شؤون الحكم فى الأرض، ودمرت نقاوة الأسر (الإسرائيلية) الأصيلة، بامتزاجها بالدم الآشورى والبابلى، والعربي، كما عبدت الآلهة الأجنبية فى المعابد المقدسة»[1].

«وهكذا بدأت ألف وثمانمائة عام من المنفى، ولعلي لا أكون مخطئاً (أ. ب. يهوشوع فى كتابه بفضل الطبيعة، شوكن، تل أبيب ١٩٨٠م). إذا ما قلت أنه خلال هذه المئات من السنين ، ومنذ خراب الهيكل الثاني، وحتى بعد الصهيونية، وبالذات حتى أيامنا هذه، لم يبذل اليهود أى مجهود جدى وذى مغزى من أجل العودة إلى فلسطين، ليس فقط من أجل إعادة استقلالهم السياسي، بل حتى من أجل محاولة الاستيطان والتمسك بها[2].

ومن هنا يأتى «التأكيد على ملازمة ظاهرة الشتات اليهودى للتاريخ اليهودي، وعدم أهلية اليهود لتأسيس دول أو ممالك لتعارض ذلك مع مضمون وروح اليهودية، وأن الذى حافظ على اليهود هو الدين، وليس الاستقلال السياسى[3]».

وبناء على ما سبق، نجد أن التاريخ يعيد نفسه، فبعد شتات اليهود ودمار كيانهم المحدود فى فلسطين، وانتشارهم في بابل ومصر وغيرها، وبعدها تتاح أمامهم فرصة التوجه لفلسطين، ولكن يفضلون البقاء فى شتاتهم حرصاً على ما حققوه من مكانة هناك، ومن لم تطب له الإقامة تشتت فى دول أخرى فى شتى أنحاء العالم بعيداً عن فلسطين، كما هو الحال الآن. فبالرغم من الإغراءات والضغوط يبقى اليهود فى شتاتهم بأمريكا وغيرها، وحتى اليهود غير الراضين عن إقامتهم، مثل يهود روسيا يهاجرون إلى دول أخرى، ومن خدعته الصهيونية وحطت قدماه فى إسرائيل يفكر فى اليوم التالى فى مغادرتها

(١)نفس المرجع، ص٣٥- ٣٦.

(٢)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع السابق، ص٣٩.

(٣)نفس المرجع، ص١٥.

لشتات جديد.

وعليه نتساءل....

* أين هو الحق التاريخى فى أرض فلسطين والارتباط بها كما يدعون « أرض الميعاد»؟

* أين هى الوحدة السياسية والعضوية التى تربط بينهم؟

* أين هم من الشعوب الطبيعية؟

وتأتينا الإجابة فى الفكرة الرئيسية التى تضمنها كتاب الأديب الإسرائيلى المعاصر أ.ب. يهوشوع (بفضل الطبيعة، شوكن، تل أبيب ١٩٨٠)، والتي عرضها بإيجاز العالم الجليل الأستاذ الدكتور رشاد الشامي، في كتابه (اليهود واليهودية ..)، برؤية جديدة للتاريخ اليهودى حول موضوع الشتات اليهودى عبر التاريخ، قائمة على نظرية مفادها «أن اليهود يشكلون جماعة دينية شتاتية (دياسبورية)، وأن الشتات هو الوسيلة الأكثر ضماناً لاستمرار وجودهم، من خلال التقوقع داخل إطار الدين، وضماناً لأمنهم الاقتصادى (قدر اللحم)، وأنهم لا يصلحون لأن يكونوا شعباً مثل سائر الشعوب فى إطار سياسى فى فلسطين، وأن فلسطين ظلت عبر التاريخ مفتوحة أمامهم دون قيود، ولكنهم لم يهاجروا إليها بجموعهم، واكتفوا بترديد شعارات الأحلام والشوق إليها، وانتظار الخلاص المسيحانى»[١].

وحول نفس النظرية «يعرض الأستاذ الدكتور نجيب ميخائيل لآراء الباحثين والمؤرخين. ثم يخلص إلى القول: إن الإسرائيليين في أعقاب السبى كانوا قد انتشروا فى أنحاء العالم شرقاً وغرباً، وامتصوا بيسر فى الشعوب التى حلُّوا بها، ومرَّت بهم قرون طويلة، ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم[٢].

لقد كانت سياسة قورش الفارسى مغايرة لسياسة البابليين تجاه المسبيين من مختلف المقاطعات، حيث سمح لهم بالعودة، وبالطبع حظى اليهود بهذه السياسة فى

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): المرجع سابق، ص٢٩.

(٢)فراج، على مسعد طه: المرجع السابق، ص٣٦.

العودة، حيث صرَّح لهم بالعودة إلى أورشليم، وإعادة كنوز الهيكل على نفقة بيت الملك[١].

«وقد لقي اليهود معاملة حسنة من قورش، والسر فى ذلك يرجعه الباحثون إلى عدة أسباب منها زواجه من إستير اليهودية، وتأثيرها عليه لصالح بنى جلدتها. ويرى الدكتور حسن ظاظا أن جيش قورش قد لقى تسهيلات كبيرة من جانب يهود البلاد أثناء حربه ضد بابل، وكان تصريح العودة بمثابة مكافأة لهم على مساعدتهم إياه من دخول المدينة البابلية بسهولة»[٢].

«ومع سقوط بابل أصبحت ضمن الإمبراطورية الفارسية، والتى شملت المنطقة من بحر إيجة شرقاً، وحتى أرمينيا شمالاً، وإلى جنوب فلسطين، وكانت هذه تعد أقدم دولة فى فارس، وذلك فى عام ٥٣٩ ق.م. وأصبح قورش السيد المطلق فى الدوائر السياسية، والاجتماعية، والدينية، وعلى يديه سقطت الإمبراطورية البابلية، آخر إمبراطورية للساميين، وبدأ بعد ذلك عهد الآريين من فرس، ورومان، ويونان لكى يظهروا على مسرح التاريخ»[٣].

وفيما يخص اليهود المسبيين نجد أن تصريح قورش ينص على أن « يهوه رب السماء قد منحه كل ممالك الأرض، وحمله مسئوليات بناء المعبد فى أورشليم فى يهوذا، ولذلك فقد طالب اليهود، بالعودة إلى بلادهم من أجل المساعدة فى إعادة بناء المعبد، وطالب الباقيين فى بلاد بابل مساعدة هؤلاء العائدين، والتبرع من أجل الباقين فى الأرض، ومن أجل إعادة البناء، وبناء على هذا الوعد فقد قامت مجموعة من المسبيين مع ششبصر ومعهم آنية المعبد التى كان قد حملها نبوخذ نصر من أورشليم إلى بابل، يرافقهم عدد من الخدم ومجموعة من المنشدين»[٤].

وفي عام ٥٣٩ق.م، سقطت بابل فى يد الفرس، بعد أن تمكن الملك الفارسى

(١)عزرا (١/ ٧، ٦/ ٣).

(٢)ظاظا، حسن (دكتور): القدس مدينة الله أم مدينة داود، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٤٣.

(٣)إبراهيم، نجيب ميخائيل(دكتور): مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٦.

(٤)عزرا (١/ ٥).

«قورش» من هزيمة البابليين، ودخول عاصمتهم ، ووصفته التوراة بأنه «راعى الرب» (أشعيا ٤٤-٢٨)، ومسيحه (أشعيا ٤٥-١)ن وأصبح في نظر اليهود في متفاهم ممثلاً للعناية الربانية ، ومن هنا كان قراره بالسماح بعودة اليهود لفلسطين ، ولكن الذين لبوا نداء العودة كانوا المغامرين والفقراء وفضل الكثيرون منهم البقاء متمتعين بثرواتهم واستقرارهم في بابل، «إن الكثير من اليهود – خاصة الأغنياء منهم – قد فضلوا البقاء في بابل، حيث هم ليشكلوا أول أفراد يهود الشتات، أو ما عرفوا «Diaspora»[١].

وفي عهد الإمبراطور الرومانى «هدريان»، وقع السبى الكبير ليهود فلسطين من خلال المذابح، والطرد، والنقل »، فرغم المبالغة في أعداد القتلى (خلال المذابح التى ارتكبها الرومان ضد اليهود)، فإن اليهود قد طردوا فعلا من فلسطين إلى كل أجزاء الإمبراطورية الرومانية . وكان عام ١٣٥م، هو التاريخ الذى انتهت فيه نهائياً علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً ... أما من تبقى من يهود فلسطين بعد هذه المذابح والمطاردات (ابتداء من السبيين، الآشوري و البابلي، وحتى أحداث العصر الرومانى). فشراذم ضئيلة ازدادت تناقصاً فيما بعد، بتحول بعض أفرادها إلى المسيحية، ولعل أهم تلك البقايا: السامريين الذين تحولوا إلى قوقعة قزمية معلقة في نابلس (شكيم القديمة) حتى أنها لا تزيد اليوم عن مائة أو مائتين، وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادى لم يكن عدد اليهود في فلسطين يزيد عن عشرة آلاف نسمة»[٢].

«تفرق اليهود بعد ذلك في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، فتبعوا الرومان إلى إيطاليا، وأسبانيا، وفرنسا، وألمانيا، حتى الراين الذى وصلوا إليه منذ القرن الثالث الميلادي، حيث تحولت (فرانكفونيا) بالذات إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم . وكادت عاصمتها (فرانكفورت) أن تكون عاصمة «يهود الشتات» الجديدة ومنذ ذلك الحين نشأت علاقة تاريخية وثيقة بين مدينة «فرانكفورت» واليهود ظلت حتى يومنا هذا»[٣].

«وقد حدث تبلور كبير للتواجد اليهودى بالإسكندرية، بدءا من القرن الأول قبل

(١)فيليب. حتى (دكتور) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق. ط٢، بيروت، ١٩٥٨ ص ٢٤٣.

(٢)مهران، محمد بيومى (دكتور): بنو إسرائيل، المرجع السابق، ص ١٠٢٣ ، ١٠٢٤.

(٣)نفس المرجع، ص ١٠٢٥.

الميلاد، حيث ظهرت طوائف يهودية في جميع أنحاء القيصرية الرومانية ، ومع استتباب الأمن والعلاقات التجارية بالقيصرية الرومانية ، ساعد كل ذلك بالتأكيد على رحابة الشتات»، «وقد كبر الاستيطان اليهودى بالإمبراطورية العثمانية بعد طرد أسبانيا، وفي القرون ١٦-١٨ تواجد الاستيطان اليهودى الكبير بالإمبراطورية العثمانية، ومملكة بولندا-لتوانيا . ولكن مرسومى ٤٠٩، ٤٠٥، أديا إلى بداية شتات اليهود من بولندا تجاه الغرب ، وكان هناك التطور التدريجى لتعزيزه واستمراره، طوال أيام العهد الحديث»[١].

«وفي القرن ١٦ بدأ يهود أسبانيا المطرودون في التغلغل لأمريكا، ولكن هجرة مجموعات غريبة من اليهود من ألمانيا تم ذلك فقط، في منتصف القرن ١٩، وبدأ عبور جمهور اليهود من أوروبا الشرقية للأرض الجديدة، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية فقط، في الربع الأخير من القرن ١٩، وكذا الهجرة الجماهيرية المستمرة للولايات المتحدة، وبعد ذلك لكندا وأمريكا الجنوبية»[٢] .

وقد تلى ذلك أحداث بين الحربين العالميتين، الأولى والثانية، وأحداث النازية، ثم مرحلة قيام دولة إسرائيل، عام ١٩٤٨م . وتزايد الدعم واستمراره من الغرب لإسرائيل بدعوى ما تعرض له يهود الشتات من أضرار خلال الحربين، وخلال أحداث النازية . «ومن بين ما يقدر بـ ١٤ مليون يهودى في العالم اليوم يقطن حوالى ٥.٣ ملايين في إسرائيل، وحوالي ٤.٥ ملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يقرب من ٢.٢ في روسيا وأوكرانيا، وفي جمهوريات الاتحاد السوفييتى السابق»[٣].

وأشارت تقديرات مكتب الإحصاء المركزى فى إسرائيل إلى أن عدد سكانها بلغ فى بداية العام الجديد (٢٠٠٢)، ٦.٥ ملايين نسمة، بنسبة زيادة بلغت ٢.١٪ ، تشكل أقل معدل زيادة منذ حقبة ثمانينيات القرن العشرين. وذكرت صحيفة (جيروزاليم بوست) الإسرائيلية، في الأول من يناير ٢٠٠٢ ، أن عدد اليهود من سكان إسرائيل بلغ ٥.٣ ملايين

(١)האינציקלופדיה העברית, שם, עמ'814.

(٢)שם עמ'814.

(٣) www Britannica. Combied article? EU=30783. Encyclopedia Britannica .Diaspora/ 1 of2. 1999- 2001

نسمة، وشمل هذا الرقم مهاجرين لم يسجلوا بصفتهم يهوداً»[١].

«والدليل القاطع على أن اليهود لم يبذلوا أى جهد من أجل العودة إلى فلسطين هو عدد اليهود الذين كانوا يقيمون فيها، في بداية القرن ١٩. لقد كان مجموع اليهود ١٥ ألف، من بين شعب يبلغ تعداده ٢.٥ مليون نسمة»[٢].

ولا يزال اليهود حتى الوقت الراهن يتحركون من أماكن الشتات التى تمثل الحياة فيها خطراً ويعانون من قسوة الحياة، على غرار ما يحدث فى الاتحاد السوفييتى (السابق)، إلى مواطن شتات أخرى بعيداً عن إسرائيل، على الرغم من ألاعيب الصهيونية لتحسين صورتها أمامهم لإمكانية جذبهم إليها.

«اليهود ينجذبون إلى المنفى باعتباره الإمكانية التى ينطوى عليها وجودهم، ويكرهونه ويبذلون كل ما فى وسعهم من أجل الصمود فى داخله، ولكنه بالذات يبعد العودة إلى فلسطين، بسبب صفته الآخذة فى التحسن للصمود فى المنفى. إن اليهود يشعرون بأنهم مذنبون لأنهم لا يعودون إلى فلسطين، وبناء على ذلك فإنهم يتفاخرون بها، ويرفعونها أكثر وأكثر، ويحددون لها مضموناً أعمق وقدسية، ويجعلونها بلداً عجيبة، باعتبارها كابوساً، وبلد خطيرة ومجنونة «تأكل ساكنيها»، لكى يبرر مخاوفه من العودة»[٣].

وإذا كان العامل الاقتصادى والسعى إلى العيش فى مواقع أفضل مادياً واجتماعياً، في الوقت الراهن، هو العقبة أمام هجرة اليهود إلى إسرائيل، فلعل هذا السبب هو ذاته ما كان بدفع اليهود فى العصور القديمة أيضاً، لهجر فلسطين، كما أن اليهود، دائماً، كانوا يسعون للاندماج فى المجتمعات الجديدة التى يدخلونها فى العصور القديمة. فاندمجوا فى بابل، ورفضوا العودة منها. واندمجوا فى مصر، وسوريا، واليونان في العصر اليوناني، ولم يحاولوا العودة إليها، حتى حينما وجَّه شمعون المكابى، الدعوة إليهم للعودة إلى فلسطين، لم يردوا على دعوته. ونفس الحال، في العصر الرومانى، حيث اندمج اليهود فى

(١)الأهرام: نقلاً عن صحيفة جيروزاليم بوست (الإنترنت)، أخبار العالم، ٢ يناير ٢٠٠٢، ص ٤

(٢)الشامى، رشاد (دكتور): المرجع السابق، ص ٤١.

(٣)نفس المرجع، ص ٥٠.

شتى أنحاء الأرض، وهو ما أكده البحث، حيث واصلوا اندماجهم فى كل من مصر، ولم يفكر اليهود فى تركها والعودة لفلسطين، رغم أحداث الفتنة التى وقعت على أراضيها، وكانوا هم شريكاً فيها، ورغم ما أصاب اليهود من جرائها. كما واصلوا اندماجهم فى كل من سوريا وبابل. وأظهروا اندماجاً كبيراً فى مدن روما، في ذلك العصر[1].

(١)جوهر، هاني عبد العزيز السيد، ظاهرة الخروج اليهودى من فلسطين فى العصور القديمة، دراسة تاريخية تحليلية للعوامل والنتائج، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م، ص٢٩٩.

obeikan.com